الحب فى الميزان

منى عزت عبدالسلام- مصر

لم اعد احتمل هذا الهوان.. لم اعد احتمل

صرخت بها حنين وهى تلقى بالصحن الذى كان بيدها ارضا بقوه وتابعت صراخها وهى تتجه للردهة حيث يجلس زوجها يشاهد التلفاز كعادته وهتفت به :

لم اعد احتمل.. هل سمعتنى جيدا. لقد اكتفيت من تلك الحياة المتدنيه فانا لم اخلق لهذا الهوان.

نظر لها زوجها بصدمة وهو ينهض متسائلا : ماذا حدث لكل هذا!!

هتفت بسرعة وكأنها كانت تنتظر سؤاله :

حدث الكثير يا زوجى العزيز فقد اصبحت بعد زواجى منك مجرد خادمة لك ولابنائك... سنوات وانا انتظر ان يتحسن الحال ولكنه كان يسوء يوما بعد يوم فاين انا من اخوتى ومن اقربائى..وانت لا تفكر سوى بنفسك فقط فتذهب الى عملك الذى بالكاد يكفينا للعيش وتعود لتجلس امام التلفاز وكأننا لا ينقصنا اى شئ.. لقد مللت منك ومن تلك الحياة الحقيرة.

كان يسمعها بوجه مكفهر وعندما انتهت ظل هو صامتا وقد عجز عن الرد مما اثارها اكثر فصرخت به :

الن تكلف نفسك حتى بالرد.. هل انت قليل الحيلة لهذه الدرجة!!

جلس فى تلك اللحظة ورد قائلا :

انا افعل ما باستطاعتى يا حنين فانا اعمل صباحا ومساءا ولا اعود للمنزل سوى تلك الساعات القليلة التى تقولين اننى اقضيها فى الهراء..لم اقصر معك يوما لتتهمينى بقلة الحيلة يا ام ابنائى.

كانت تعلم انه محق ولكنها كانت فى قمة غضبها بعد ان لاحظت حرج زوجة شقيقها بسبب ملابسها وملابس ابنائها البسيطة حتى انها خجلت من تقديمها لصديقاتها بالنادى الشهير الذى تشترك به وقد كانت غلطتها من البداية ان قبلت دعوتها فقد عادت وهى كارهة لحياتها البسيطة بعد ما شاهدته من بذخ العيش ونساء لا تفكرن سوى فى انفاق النقود على الملابس والحلى ومما زاد المها اكثر عندما عرضت عليها زوجة شقيقها بعض الملابس لها ولابنائها.. كم تألمت فى تلك اللحظة ولعنت حظها العاثر الذى جعل معيشتها بذلك الضيق...

لذا فقد هتفت بزوجها مرة اخرى وهى تجلس بانهيار :

احمد.. لم اعد استطيع التحمل اكثر.. اعلم انك تعمل صباحا ومساء ولكن ما الفائده اذا كنت بالكاد تكفينا...انا اريد الحياة الرغدة التى رأيت نساء اقل منى فى كل شئ يعيشونها .. اريد الملابس الباهظة الثمن والحلى الغالية.. اريد السفر والاستمتاع بحياتى بدلا من كونى هنا فى بيتك كالخادمة.

نظر لها بحزن ورد :

المرأة التى تخدم زوجها وابنائها ليست بخادمة يا حنين.. انها سيدة بيتها وملكته.. وما ادراكى ان تلك النساء سعداء.. الله لا يظلم احد يا حنين ولكل انسان سعادته التى وهبها الله له فربما لا تمتلك احداهن زوج يحبها ويقدرها مثلك انت وربما حرمت الاخرى من الابناء وليس عندها ابناء رائعين مثلك وربما كانت اخرى تعانى مرض ما وليست بصحة جيدة مثلك حتى انها ربما تتمنى ان تستطيع خدمة زوجها وابنائها.... لم اكن اتصور ان تكونى بهذا الضعف امام مظاهر الحياة الخادعه يا حنين.

كادت كلماته المتزنة ان تعيد الهدوء الى نفسها ولكنها سرعان ما تذكرت زوجة شقيقها فهتفت به :وماذا عن رنا زوحة اخى.. انها تعيش عيشة رغدة ولديها ابناء وصحتها جيدة وزوجها لا يجعلها تحتاج لاى شئ بل يغدق عليها دائما بالمزيد.

تنهد احمد بضيق واجابها :ومن يعلم كل شئ عن الاخر يا حنين ربما كان هناك ما يعكر صفو حياتها.. كل ما االكده لك ان الله لا يظلم احد ويجب ان تؤمنى بهذا ايضا.

نهضت وهى تهتف به : انا اعلم عنها كل شئ واعلم انها لا ينقصها اى شئ بالحياة... انت من يخترع الحجج ليغطى على نقصه.

هنا فقد احمد تعقله ونهض هاتفا بها : حنين.. لقد احتملت منك الكثير. فحذارى ان تختبرى صبرى اكثر من ذلك.

هتفت به بتحدى : وماذا ستفعل.. انك اضعف من ان تفعل اى شئ.

لم يحتمل احمد اهانتها هذه المره ليصفعها بقوة فنظرت له بعين دامعة فهذه هى المره الاولى التى يفعلها منذ تزوجته قبل ان تقول بالم: هذا دليل اخر على ضعفك.

قالتها ودخلت الى غرفتها بينما جلس هو بحزن فلم يكن يتمنى فعل هذا فهو يحبها ويقدرها كثيرا ويريد ان يرضيها دائما ولكنها تلك المره اهانته واهانت رجولته بشده فكم احتمل نوبات غضبها على ضيق معيشتهم ولكنها لم تصل يوما لاهانته بتلك الطريقه... ولن يستطيع ان يسامحها بسهوله هذه المرة..

بعد قليل خرجت من غرفتها تحمل حقيبة ملابسها فنظر اليها بصدمه ولكنها لم تمهله وهى تصطحب ابنائها وتهم بالخروج قائله بسخرية :

-فلتبحث عن ملكه اخرى لقصرك.

قالتها وخرجت تاركه اياه فى ذهوله فتلك المرأه ليست حنين زوجته وحبيبته.. ومن داخله هتف بمرارة :

-بتلك البساطه هان عليك كل شئ يا حنين.

ذهبت بعدها حنين الى بيت شقيقها فلم تجده فجلست مع زوجته تشكو لها ما فعله زوجها وبانها لم تعد تحتمل اكثر تلك المعيشة.

فحاولت تهدئتها قائلة :ولكن احمد يحبك يا حنين.

هتفت بها حنين : وما فائدة هذا الحب....ان كان لا يسعدنى.

ابتسمت رنا بمراره وقالت : الحب هو كل شئ يا حنين.. صدقينى.. كل شئ يهون ان قارنته بالحياه مع رجلا يحبك حقا.

هتفت بهاحنين : انتى من تقولين هذا!!

اجابتها رنا بمرارة اكثر : انا من يجب ان يقول هذا يا حنين.. اتعرفين اين هو شقيقك الان؟

نظرت لها حنين بدهشة واجابتها : بالطبع هو فى عمله.. فانا اعرفه جيدا يحب عمله و.....

ضحكت رنا بحزن وقاطعتها قائلة : اخاكى عند زوجته الاخرى يا حنين.

رددت حنين بصدمة : زوجته الاخرى.

اومأت رنا برأسها بالايجاب وقالت: نعم زوجته الاخرى.. حبيبته القديمة منذ كان بالجامعة لقد عاد اليها منذ فتره وتزوجها بالفعل.

هتفت بها حنين بذهول : وانتى تعلمين كل هذا!!

اجابتها رنا بحزن : نعم اعلم ولم اخبره بأي شئ لاننى أحبه وأخشى ان أفقده... فهو لم يحبنى يوماً وسيختارها هى ان خيرته بيننا فهى حبيبته.

صمتت حنين ولم ترد وكلمات احمد تتردد بعقلها فبالفعل كل انسان يحصل على نصيبه من الحياه كاملا وان تفاوتت النسب ومن داخلها تصاعد شعور بالاشفاق على رنا والتى لا تتمنى يوما ان تكون مكانها وشعور اخر بالذنب نحو زوجها الذى جرحته ولم تقدر حبه لها.. فتساقطت من عينيها دمعة واخرى.. وانهارت فى بكاء حار. فاقتربت منها رنا وربتت على كتفها قائلة:

احمد يحبك يا حنين.. حاولى ان تحافظى على ذلك فقد من الله عليك بالكثير دون ان تشعرى.

اومأت حنين برأسها قائله : ولكننى جرحته بالفعل وقللت من شأنه بينما هو كان يقدرنى دائما اما انا فلم اقدر ما يفعله من اجلى انا وابناءه.

ابتسمت لها رنا قائلة : من يحب بحق يسامح دائما يا حنين... اذهبى اليه واخبريه بانك تحبيه ايضا ولا يمكنك الابتعاد عنه.

نظرت لها حنين بامتنان قبل ان تسألها : وماذا عنك يا رنا.. كيف ستتحملى كل هذا!!

ابتسمت لها رنا بثقة واجابتها: ساتحمل واكمل حياتى كامرأه سعيدة لا ينقصها اى شئ وسابتسم دائما حتى لو كان قلبى يبكى دما..فهذا قدرى وسأتحمله بكل رضا.

شعرت حنين بالشفقه عليها فى تلك اللحظه وهى التى كانت تحسدها منذ قليل وشدت على يدها قائلة : اتمنى ان يريح الله قلبك.

تركتها بعدها وعادت لمنزلها فبحثت عن احمد ولم تجده فجلست بحزن وهى تتخيل حالته السيئة الان حتى انه ترك المنزل وخرج.. وانتظرته طويلا حتى انها استسلمت للنوم بالنهاية ولم تشعر بعودته حتى ربت على كتفها بحنان قائلا :

حنين.... استيقظى يا حنين.

فتحت عينيها ونظرت له بحب هاتفه: احمد.. لقد عدت اخيرا... ارجوك ان تسامحنى فانا اعلم اننى اذيتك كثيرا و.....

قاطعها قائلا : لا داعى لذلك يا حنين.. لقد فات الاوان الان.

نظرت له بحزن وقالت :أحمد.. انا اعلم جيدا انك ستسامحنى لانك تحبنى وانا ايضا احبك و...

هز رأسه بالنفى وهو يقاطعها مره اخرى قائلا :لقد طلقتك بالفعل يا حنين..

نظرت له بصدمه هاتفه: طلقتنى.!!ولكنك تحبنى ولا تستطيع العيش بدونى.. هذا ما كنت تخبرنى به دائما.

نهض واولاها ظهره قائلا بالم : ولكنى لم اخبرك يوما ان كرامتى كرجل لا يمكن وضعها فى ميزان واحد مع هذا الحب وانتى فعلت هذا.. فلتتحملى النتيجة كاملة.

انهارت باكيه وهى تصرخ قائلة :

احمد.. ارجوك ان تسامحنى فلن احتمل فقدك.

ابتعد عنها وكأنه لا يسمعها فصرخت بقوة : احمممممممد.

.....

حنين... استيقظى يا حبيبتى.. حنين.

فتحت عينيها لتجده بجوارها فى الفراش يمد يده اليها بكوب من الماء وقد ظهر القلق عليه وهو يجفف جبهتها بحنان قائلا : لقد كنت تحلمين يا حبيبتى.. لا تخافى انا هنا بجانبك.

دمعت عينيها وهى تنظر اليه بالم قائلة: ولكنك طلقتنى... لقد هنت عليك لتتركنى بتلك البساطة.

نظر اليها بدهشة قبل ان يبتسم بحنان قائلا: الهذا كنتى تصرخين بإسمى.. حبيبتى انه مجرد حلم فانا لا استطيع الابتعاد عنك وانتى واثقة من ذلك.

مسحت دموعها وهى تقول بخجل: ولكننى جرحتك و.....

قاطعها قائلا : انتي بالفعل فعلتى ذلك ولكننى مقدر لتعبك معي ومع ابناءنا وكان يجب ان التمس لك العذر ايضا.. لقد كنت اريد التحدث معك بعد ان تهدئي ولكنى فوجئت بك نائمة فتركتك لترتاحي ودخلت لأنام فى غرفة الصغار.

نظرت له بحب وسألته :

اذن فقد سامحتنى على ما قلته لك؟

ابتسم لها وهو يربت على وجنتها بحب قائلا :

بعد ان صرختى باسمى بهذا الشكل.. نعم سامحتك فقد تأكدت ان حبك لى لا يقل عن حبي لك.

التقطت يده من على وجنتها وقبلتها قائلي بحنان : بل احبك اكثر.

اشاح بوجهه قائلا : ولكنى لا املك المال ولا.....

قاطعته بحب : لقد رجحت كفة ميزان الحب بجدارة فحبك لى بكل اموال العالم.

نظر اليها بحب... وكانت دقات قلوب المحبين اوقع من اى كلمات.